في التحليل الاجتماعي للأمثال الشعبية العراقية

كاظم الحسن

في الذاكرة الشعبية، السلطان هو قوة ذات قدر الهي لا راد لها، وهي حتى في ظلمها للناس استحقاق طبيعي لما تفعل. وهي ايضاً قوة عمياء لا تفرق بين المذنب والبريء أو الشيخ والطفل فحينما تقع كارثة أو مصيبة على الناس، تذهب الابصار إلى التاريخ، تجدد الندبات (النفسية وصور المآسي الغائرة في اللا شعور الجمعي، لكي تزيد من جلد الذات وتعذيبها وتظل تردد مع نفسها لازمة مازوخية تزيد من سعرات عذابها مثل: (إنهم موخوش أوادم)، (حيل بينا).... إلى غير ذلك من عبارات جلد الذات.

والشخصية هنا متشظية بين خدمتها للسلطان في العلن وذمها له في السر وينتج عن ذلك احتقار وكراهية الذات بسبب انعدام المصالحة بين الذات والسلطة على مستوى الراعي والرعية، وليس على اساس المواطنة وينتج عن ذلك النظام الابوي القائم على التسلط الهرمي.

فمن حق الحاكم أن يملك المال العام ولا يسأل عنه لأنه الراعي والأب، وهو الأدرى بشؤون الاسرة والمجتمع وله الحق بقيادة المجتمع لما فيه صالحهم.

أما الناس فالواجب يقتضي الطاعة المطلقة وأن يكونوا، جنوداً أوفياء، ورهن الاشارة، ومن الطبيعي أن تغيب هنا الحقوق والواجبات، وتكون الواجبات ذات شكل هرمي من الاعلى إلى الاسفل وليس العكس (فالعين لا تعلو على الحاجب) أي أن العقد الاجتماعي هنا لا وجود له لأن الأطراف غير متكافئة وهنا يحل مفهوم البيعة التي تكون فيه النسب التي تبايع لا تقل عن (٩٩,٩٩ - ١٠٠٪) حسب مفهوم البيعة.

وهنا لا وجود لمفهوم المعارضة وقد يسمى أصحابها بالمرتدين ومن حق (السلطان) اهدار دمهم لأنهم خارج البيعة. أما البيعة فلقد اخذت طابعاً آخر في حياتنا المعاصرة إذ تم تجييرها لما يسمى بالثورة ومبادئها، وتعني المبادئ هنا الحاكم وحاشيته وحق اولاده في الوراثة ولا صوت يعلو على صوت الحاكم، وبما أن الحاكم في حالة حرب ضد عدو مزمن إذا فصوت الحاكم هو صوت المعركة... لماذا الحرب الدائمة؟! لأن الحاكم يتعامل مع الرعية خارج طبائع البشر، فالقاعدة هنا هي الحرب لا السلام، والرأي الواحد والحزب الواحد وليس التنوع والاختلاف، وحينما ينظر الإنسان إلى الأشياء خارج طبيعتها يكون في حالة حرب دائمة معها.

لأن الوحدة هنا قائمة على الخوف الذي يتولد عنه الذعر والكراهية والخنوع.

فتنمو بمثل هذه الاجواء بكتريا الدكتاتورية المقيتة وتكون صنوا لنظرية المؤامرة التي تختزل الالوان إلى اسود وابيض ويكون النظر إلى الاشياء ليس من خلال ذاتها بل من خلال ما نكره أو نحب، فكل ما يصدر عن الدولة والانسان الذي نكن له العداء هو شر مطلق والعكس هو الصحيح وتغيب النظرة الموضوعية الشفافة وتحل الاحادية والشمولية وامتلاك الحقيقة المطلقة والغاء الاخر، ونفي كل من يكون خلاف ذلك وفي هذا المجال ننظر إلى من يقول ليس إلى مقولته فنقدس الاشخاص وننسى الافكار والتي هي بحالة تبدل ولو عاش قائل تلك الافكار أو غيرها في غير زمانه لنفى أو نقض ما قاله وتلك من سنن الطبيعة ومن لا يصغي إلى نداءاتها سوف ينقرض ومن هنا جاء المثل الذي يؤمن به الفرد (حرامي لا تصير من السلطان لا تخاف).

اكسسوارات الخيل

أحمد هاشم

للخيول عشاقها ومحبوها وهواة سباقاتها، وفي المدن والبوادي من تخصص في معرفة إنسابها وسلالاتها ونسابو الخيول يعرفون تسلسل هذه الانساب ويميزون بالتجربة والخبرة الخيول الاصيلة عن سواها، ويعرفون على البعد الصفات المشتركة لكل سلالة.

ولعشاق الخيول اهتمام غريب بزينة الحصان والفرس وهذه الزينة وموادها تعرف اليوم باكسسوارات الخيول إذ لا بد للحصان أو الفرس من لجام لضبط ركضها السريع، هذبها وخببها وسائر حركاتها في الميدان أو خلال السفر، ويسمى اللجام عند صانعي الاعذارات بـ(الرشمة) والاعذارات هي التسمية الشعبية لمواد الزينة.

ويكون اللجام (الرشمة) للخيول الجيدة التي يعتز بها اصحابها مزيناً بالاصداف المحاكة أو المتصلة ببعضها بخيوط أو اسلاك دقيقة من جلد اللجام، وتكون الخيوط ملونة تعطي اللجام مظهراً زاهياً وتمنع وصول جلد اللجام القاسي اليه عند تعديل حركة المشي أو الركض.

وتوضع على اعراف الخيول الناشطة بعض التشكيلات من الخيوط الصوفية الملونة التي تحاك بمهارة لتزين العرف باشكال هندسية جميلة تعطي شكلاً بهيا لرأس الحصان والفرس الاصلية.

ويزين السرج الجلدي بقطع من الاصداف الملونة المجموعة من شواطئ الانهار أو المأخوذة من سواحل البحار حيث تخاط هذه الاصداف إلى بعضها وتغطى بخيوط زرق أو حمر أو صفر أو من كل الالوان فتغدو جزءاً مكملاً للسرج الجلدي الجميل وتوضع عليه بطريقة اللصق أو الخياطة ويخاط جزء منها على الشريط الجلدي الذي يربط السرج بظهر الحصان ويخاط جزء آخر بالمهماز الذي يوضع في قدم الفارس لضبط حركة الحصان أو زيادة سرعته / والسرج قد يغطى بقطعة قماش تشبه الايزار ملونة الشكل ولها شراشيب . بعض قطع الاكسسوارات قد تربط بذيل الحصان وهي قطع من خيوط الصوف الرفيعة المفتولة جيداً / وبعض قطع الجلد المشرشبة بطريقة هلالية أو معينية أو دائرية تربط على اقدام الحصان وتكون القطعة منها خفيفة الوزن تعقد بخيوط خاصة من نفس الجلد أو بلون آخر.

صانعو العذارات او الإكسسوارات كانوا قديماً يقيمون في بغداد قرب مناطق الاسطبلات الخاصة بالخيل في محلة الحصانة بالكرخ / وهم اليوم ينتشرون في اماكن أخرى ولهم مراجعوهم وزبائنهم المهتمون بزينة الخيل.

فالاكسسوارات هي حلي الحصان وجواهر الفرس ومن حق هذا الحيوان الاصيل أن يتزين لجماله واصالته ولما يعطيه لصاحبه من مهابة ومن إحساس بالفرح والرضا والسرور.

استحقاقات عراقية دولية فولكلورية

كان العراق واحداً من الدول السباقة في عموم العالم العربي والشرق الاوسط في الاهتمام شعبياً ورسمياً في تأصيل البحث الفولكلوري وقد صدرت مجلة التراث الشعبي، في الاول من ايلول ١٩٦٣ كأول مجلة باللغة العربية تعنى بشؤون الفولكلور وبإرادة عدد من المثقفين العراقيين لا بارادة (حكومية) كما هو معروف وعندما تأسس مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي اصبح العراق عضواً مؤسساً فيه وفي مجلس إدارته وقد ساعد مثقفوه مساعدة كبيرة في استقرار اعمال هذا المركز الذي تأسس في الدوحة منذ عام ١٩٨٦ وفي اصدار مجلة (المأثورات الشعبية) وفي عقد اول ندوة علمية للمركز في بغداد بعد هذا، اضطر العراق للخروج من المركز للاسباب السياسية المعروفة المتعلقة بغزو الكويت وما تلاه من احداث.

واليوم وقد زالت الظروف التي حالت دون استمرار العراق في عضوية هذا المركز نرجو أن تسعى وزارة الثقافة العراقية حثيثاً لمفاتحة الاخوة في مجلس إدارة المركز لاعادة التمثيل العراقي فيه لأن ذلك هو الصحيح والامثل والذي يؤشر الحالة الحقيقية لهذا المركز.

من جانب آخر فقد كان العراق ممثلاً لمجموعة دول الشرق الاوسط في مجلس الحرف التقليدية العالمي وقد مثلنا فيه آخر مرة المرحوم الاستاذ لطفي الخوري عام ١٩٨٤ وقد انقطعت علاقة الجهات الثقافية الفولكلورية العراقية بهذا المجلس نتيجة لسوء تصرف المسؤولين الاعلى في وزارة الثقافة والاعلام العراقية يومذاك وعدم تسديدهم الاشتراك السنوي المقرر بل وعدم اهتمامهم بحضور اجتماعات هذا المجلس الحرفي العالمي لانشغالهم بالحرب المدمرة التي جرت ضد الجارة إيران.

إننا نعتقد إن الفرصة الآن سانحة لإعادة عضوية العراق في هذا المجلس وفي إعادة إنشاء المديرية العامة للتراث الشعبي وفي الاسهام الفاعل في الحياة الثقافية عربياً وعالمياً.

المحرر